الحرية ي ف الإسلام أصالتهيا وأصولها للحرية ونقائض ونواقض لوجودها وممارستها. كان العرب على سبيل المثال يتمتعون بدرجة عالية من الحرية ومن العزة والكرامة؛ ي تَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِّ الأُّ ميَّ الَّذِي يَّدُونَهُ مَ ح كتُوبًا عِندَهُم فِي التَّ ح ورَاةِ وَالإِحنِيلِ يَّحمُرُهُم بِالحمَحعرُوفِ وَي نَح هَاهُحم عَنِ الحمُنكَرِ ؟ أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة جامعة محمد الخامس الرباط. وَيُحِلُّ لَهُّ الطَّي بَاتِ وَيُحَ رِمُ عَلَيحهِمُ ا ح لخبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنح هُحم إِ ح صرَهُحم وَالأَ ح غلاَلَ الَّتِي كَانَ ح ت عَلَيحهِحم. فإننا نْد الإسلام مليئاً بمعاني الحرية وبالقواعد المؤسسة للحرية، مما يلفت الانتباه في قصة خلق آدم كما يحكيها القرآن الكريم، هذه الواقعة وهذا المخلوق: ﴿وَإِ ح ذ قَالَ رَبُّكَ لِلحمَلاَئِكَةِ إِ ني جَاعِلٌ فِي الأَحرضِ خَلِيفَة ﴾)البقرة: 30 (، لِلحمَلاَئِكَةِ إِ ني خَالِقٌ بَشَرًا من صَلحصَالٍ م ح ن حَإٍ مَّ ح سنُونٍ. ﴿وَلَقَ ح د خَلَحقنَاكُحم ثُّ صَوَّحرنَكُحم ثُّ ق لُحنَا لِلحمَلاَئِكَةِ ا ح سجُدُواح لآدَمَ ﴾)الأعراف: 11 (، الأَ ح سَّاء كُلَّهَا. يكون قد فعل ما يستحق به شيئاً من هذا كله ﴿وَيَّ آدَمُ ا ح سكُ ح ن أَنتَ وَزَحوجُكَ ا ح لجَنَّةَ فَكُلاَ مِ ح ن حَحيثُ شِئح تُمَا.)الأعراف: 19 (ولم يكن مع هذه الحرية المطلقة ومع هذه الإباحة الشاملة سوى استثناء رمزي، أن تكون كقطرة في بحر أو حبة رمل في صحراء. فكرامة الإنسان وحريته هي أصله وهي الأصل فيه. كل بطريقته وعبارته. استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟" ثُ جاء الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1948 عن الجمعية ولعل خير من تناول هذه المسألة من علماء الإسلام هو العلامة الشيخ محمد طاهر بن عاشور في كتابيه أصول والضرورية التي يقوم عليها المجتمع ويَب على ولاة الأمور تحقيقها وصيانتها. يتضمن معنيين هما: حرية الرقبة، قال: "والحرية بكلا المعنيين وصف فطري نشأ عليه البشر، تصرفوا في أول وجودهم على الأرض حتى حدثت بينهم المزاحْة فحدث التحجير. وهذا التقييد أو التحجير للحرية لا ينبغي اللجوء إليه إلا عند الضرورة ومن أجل دوافع ومصالح راجحة، يقول رحْه الله: "إن الحرية خاطر غريزي في النفوس البشرية، صاحبها ضر ثابت أو يَلب به نفع. وخوله استخدامها بالإذن التكويني المستقر في الخلقة. فابن عاشور يتجاوز ذلك النقاش والتأرجح الذي عرفه فلاسفة الحرية واللبرالية الغربيون حول أصل الحرية تقاليد مذهب الأحرار عند كل من الأمريكيين والإنْليز بفكرة "الفردية"، سْعوا بأن أحداً يزعم أن للحرية مصدراً آخر وأساساً آخر غير طبيعة هذه الفردية نفسها. تونس: الشركة التونسية للتوزيع، عند الأحرار في القارة الأوربية أن فكرة الحرية إنما ترتبط بناحية العقل والاستدلال. سلوكهم ويسيرون أمورهم بحسب ما يمليه عليهم العقل وحده، الرؤية الإسلامية لابن عاشور تتجاوز هذا التجاذب الثنائي في مرجعية الحرية ومعيارها، عاشور: "وقد دخل التحجير في بني البشر في حريته من أول وجوده، شِئح تُمَا وَلاَ تَ حقرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَ تَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. حريته بما شرع له من الشرائع والتعاليم المراعى فيها صلاح حاله في ذاته، وهكذا تتأسس رؤية ابن عاشور إلى الحرية على أصالة مزدوجة متكاملة فيها: أصالة فطريتها الملازمة لكل فرد عن حرية العمل: "وأما حرية العمل فإن شواهد الفطرة تدل على أن هذه الحرية أصل أصيل في الإنسان، تعالى لما خلق للإنسان العقل وجعل له مشاعر تأتمر بما يَمرها العقل أن تعمله، وقد ألف الأستاذ محمد زكي عبد القادر كتاباً لطيفاً، والشعوب وعلى مدى عشرات القرون من الزمن. مصدر سابق، الجملة من عدد كبير من اللغات التي يتحدث بها البشر، ولكنهما شيئان ولدا معه وأحس بهما وكافح من أجلهما وأراق دمه في سبيلهما؛ وإذا كانت الحرية صفة فطرية من صميم خلقة الإنسان ومن صميم مؤهلاته الأولية، الإسلام وهو دين الفطرة هذه الحقيقة أساساً مرجعي اً في تشريعاته وأصوله التشريعية. بعد بعض الأصول الإسلامية المترجمة لمبدأ أصالة الحرية. ثانييا : الإباحة الأصلية : من القضايَ التي يتطرق إليها ويناقشها عامة الأصوليين قضية حكم الأفعال والأشياء قبل ورود الشرع، فالأصل فيه أنه مباح. 7 عبد القادر، من الإباحة والتحريم حكم شرعي وحيث لا دليل ولا خطاب من الشرع فلا حكم، نتوقف عن إصدار حكم في المسألة وفروعها التطبيقية. وأنَ أريد أن أقف عند القولين الأول والثاني. القولان الآخران فيؤولان في النهاية إلى الوفاق العملي مع القول الأول. والنتيجة العملية أن الناس في هذه الحالة يبقى أمرهم بيدهم، الاستثناء في الأشياء الضارة ضرراً راجحاً، وأعود للقول الأول لأوضحه وأوضح أهم مستنداته، فالله سبحانه يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَحرضِ جمَِيع اً﴾)البقرة: 29 (. في الأرض قد خلق للمخاطبين وهم بنو آدم ليستعملوه وينتفعوا به، مُ ح ستَ قَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾)البقرة: 36 (فالأرض مستقرنَ وما فيها متاع لنا. يتجاوزها إلى السماوات وما فيها ﴿أَلَمح تَ رَحوا أَنَّ اللَّ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي احلأَحرضِ وَأَ ح سبَغَ عَلَيحكُحم نِعَمَهُ ويقول عز وجل ﴿وَقَ ح د فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيحكُحم إِلاَّ مَا ا ح ضطُرِحر حُ تم إِلَيحهِ. مضمون هذه الآية مع مضمون الآية الأولى ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَحرضِ جمَِيع اً﴾ وركب منهما نتيجة قاطعة بقوله: "فصح بهاتين الآيتين أن كل شيء في الأرض وكل عمل فمباح حلال إلا ما فصل الله تعالى تحريمه باسْه، القرآن وكلام النبِ صلى الله عليه وسلم. قال ابن حزم: "ثُ زادنَ تعالى بيانً فقال: ﴿قُ ح ل هَلُمَّ شُهَدَاءكُمُ الَّذِينَ يَ ح شهَدُونَ أَنَّ ا للَّ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُواح فَلاَ تَ ح شهَ ح د مَعَهُحم ﴾)الأنعام: 150 (، حزم رحْه الله مع متانته وقوة

Summarized by © lakhasly.com

منطقه يحتاج إلى شيء من الاستدراك والتدقيق في بعض ألفاظه. وقد استدل القائلون بالإباحة الأصلية كذلك بعدة آيَت نصت على إباحة الطيبات وما خلقه الله من زينة يتعلق به التحريم إلا عرضاً ولأسباب عرضية ليست ذاتية. علي بن أحْد)المتوفي عام 456 ه(الإحكام في أصول الأحكام، 10 المرجع السابق، فمتى ثبتت تلك الصفة)الخبث والضرر(ثبت التحريم. يتصف بالخبث فحكمه الإباحة وحرية الاستعمال والتصرف. من تطبيقات القاعدة وآثارها: قاعدة "الأصل في الأشياء الإباحة"، في نفسه وفيما يزدحم به هذا الكون من خيرات وكائنات ومنافع وإمكانَت. ومن هنا ندرك ذلك السر والخيط الرابط بين تحليل الطيبات وتحريم الخبائث من جهة، عَلَيحهِمُ ا ح لخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنح هُحم إِ ح صرَهُحم وَالأَ ح غلاَلَ الَّتِي كَانَ ح ت عَلَحيهِحم. فالمؤمن إذا أصبح شاكاً خائفاً من شبح التحريم والإثُ حيثما فكر وقدر، لمجرد أن كل ما ليس منصوصاً على إباحته فهو حرام، عن عقول الفقهاء أنفسهم، ﴿يَ ح سأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَحُم قُ ح ل أُحِلَّ لَكُمُ الطَّي بَاتُ. وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواح الحكِتَابَ حِلٌّ لَّكُحم. ﴿كُلُواح مِمَّا فِي الأَحرضِ حَلاَلاً طَي ب اً﴾)البقرة: 168 (. هذا كله نْد خلافات ونزاعات فقهية لا تنتهي في كثير من الأطعمة والحيوانَت أحلال هي أم حرام مما يمكن رده ـ ـ ولتوضيح هذه المسألة بكفاءة وجدارة، فبعد أن ذكر طرفاً من اختلاف الفقهاء في تحديد معنى الطيبات ومعيار تحديد ما هو طيب وما ليس بطيب، حيث أرجع بعضهم ذلك إلى عادات العرب وأذواقهم، هو من أرض قومي فأجدني أعافه" ومع ذلك لم يحرمه على خالد. والذي يظهر لي: أن الله قد نَط إباحة الأطعمة بوصف الطيب فلا جرم أن يكون ذلك منظوراً فيه إلى ذات فمن العرب من يَكل الضب واليربوع والقنافذ، يَكل الضفادع والسلاحف والزواحف ومنهم من يتقذر ذلك، حلال دون بعض بدون نص ولا قياس هو من القول على الله بما لا يعلمه القائل، وما الذي أحل الجراد وحرم الحلزون، وما قيل في مجال المطعومات يقال في سائر المجالات وكافة التصرفات والمعاملات، وقد أدى هذا النظر المقلوب إلى حرمان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مما لا يحصى من فرص الكسب من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله. ما أثُ الله ورسوله به فاعله. الإسلامية هناك عن الانتخابات البرلمانية التي كانت وشيكة في المغرب، كانت عندكم فتوى تحرم ذلك فابعثوا بها إلينا لننظر فيها وفي دليلها. ثالثياً : الأصل براءة الذمة التحرير والتنوير، تونس: الدار التونسية للنشر، إعلام الموقعين، بيروت: دار الجيل، يقول ابن القيم "لا واجب إلا ما أوجبه الله، سبحانه لا يمكن أن يحيف أو يتعسف على أحد. يقول العلامة ابن عاشور: "وإن موقف تحديد الحرية موقف صعب وحرج ودقيق على المشرع غير المعصوم، فواجب ولاة الأمور التريث وعدم التعجل، " 14 وقال في موضع آخر: "واعلم أن الاعتداء على الحرية نوع من أنواع الظلم. ومما استدل به ابن حزم على تأصيل هذا الأصل حديث أبى هريرة عن النبِ صلى الله عليه وسلم "دعوني ما وأنه إذا أمر بشيء فواجب أن يؤتى منه ما بلغت الاستطاعة، وإذ هذه صفته ففرض على كل مسلم أن لا يحرمه ولا يوجبه. 13 المرجع السابق . أصول النظام الاجتماعي، مرجع سابق، البصائر للإنتاج العلمي، الإحكام في أصول الأحكام، وبناء على هذه القاعدة قاعدة البراءة الأصلية لا يصح ولا يَوز لأحد من الناس وضع عبادات أو الزيَدة في عبادة ـ ـ شَرَعُوا لَمُ منَ ال دِينِ مَا لمَح يًحذَن بِهِ اللٌّ ﴾)الشورى: 16 (. يضعه بعض الفقهاء من شروط إضافية لبعض الأحكام والتكاليف الشرعية، الصحابة رضي الله عنهم. وكذلك يقول :ما رأيت أحداً فعله. حديثي إلى هذه الناحية: أولاً لما هو معلوم من كون الحرية في مجالاتها وقضايَها السياسية والاجتماعية حاضرة بقوة وبكثافة فيما يقال ويكتب عن الحرية. وكل ذلك في نطاق المشروعية الواضحة والعقلانية الصحيحة، تحقيق وتعليق محمد الحسين السليماني،

Summarized by © lakhasly.com